

## تكنولوجيا الاجهزة والا حاسين البرمجية واثرها على ادب الرسائل



مهندس | اسماعيل بابكر

وإذ تناولنا موضوع "الحب" بعدما حُول في عصرنا إلى مناسبة عالمية ووقتوه بزمان وجعلوا له عيداً، فإذا توقفتنا عند ما يجري تبادلته من رسائل بين العشاق والمحبين، فسوف يذهلنا حجم ما تشغله هذه الثقافة الحديثة من حيز ومكان، وما ترسخه من قيم في أدب التواصل وبث المشاعر، رغم عدم أخذها على محمل الجد، إذ لم يعترف بوجودها بعد إلا كإسيلة ترفيه وتسليه، لكن حتى هذه التسلية الجانية راحت ملامحها تتبلور على نحو سريع، لتأخذ شكل ثقافة شعبية شبابية جديدة، خارج سياق الثقافة المتعارف عليها، وتتطوي على مدلولات كثيرة، وهي تكشف عن عمق القطيعة بين ثقافة الجيل الجديد الناشئ والثقافة المعاصرة والموروثة على حد سواء، وفي حين كان الشباب في زماننا يتبادلون قصائد لشعراء يكتبون من عيون اللغة العربية ومزوجة بالحمية كما شاعر العيون عبدالله النجيب، والصادق الياس في رسائل الجابري تكاد قصائده في هذا الزمن تختفي من دفاتر "المحمول" لدى الشباب والمراهقين، اللهم إلا ما غناه هغنون شباب التزاموا القديم الجديد في اغنياتهم الرائعة مثال عصام محمد نور وجمال فرفور . فالآن، صار التواصل العاطفي يتم في رسائل المحمول، بطريقة جديدة إما إرسال نغمة أو مقطع من أغنية، هي بمقام الفاكهة، لا تأتي غالباً معبرة عن شوق وفراق، وإنما بعد سلام وكلام وأحاديث مطولة من خلال التلاقي المباشر أو عبر الهاتف أو الإنترنت أو قل عبر اللقاءات الآلية السريعة، ومن هنا أصبحت الكلمة المكتوبة تفقد الكثير من معناها وحرارتها وصدقها الفني، خاصة بعدما بات رسول المحبين هو الهاتف الجوال، وشتان ما بين هذا وشروط سفير العشاقين الواردة في كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم، رحمه الله،. والآن أصبح ( طوق المحمول ) . هذه المواصفات لكلمات المراسلة وغيرها، لم تعد ذات فائدة، مع وجود مواقع على الإنترنت تزود المحبين برسائل جاهزة مصنوعة كالقوالب الجاهزة، حيث لا إبداع فيها ولا عاطفة، بل إنها مفصلة حسب الطلب والموضوعات، وبمجرد وجود تلك الرسائل على جهاز من الممكن أن تنتقل إلى سائر المستخدمين، ويقوم المستخدمون بتوزيعها على بعضهم البعض، فتغيبهم عن العودة إلى كتب الأدب والشعر، وإلى من أبدعوا بالكلمة ووصفوا أروع المشاعر، إن كثرة تداول مثل تلك الرسائل وسهولة ذلك جعل المستخدمين يستغنون حتى عن البحث في الإنترنت عن رسالة مميزة؛ إذ أهم ما يميز ثقافة الجوال هو الكسل والحمول والركود، بكل معنى الكلمة، وبمجرد أن تصل إلى الجهاز رسالة تنال إعجابك ترسلها إلى الآخرين، وذلك دون مراعاة الآثار التي قد تحدثها الرسالة في نفس المستلم الآخر، إن الخصوصية في الرسائل الغرامية صارت عامة؛ بسبب سهولة تداول المشاعر الخاصة، فأصبحت النفس مفتوحة على العالم وأصبحت نفسها قابلة للانقطاع أي شيء؛ ولذا غابت عنها تلك التعبيرات التي تخص صورة المحب الوحيد والأوحد، كما ظهرت في غزل الشعراء القدامى الذين يقطعون القطع الأخضر أي نظم القصيدة في نفس اللحظة كما قال أحد شعراء التنكسية عندما رأى فتاة جميلة ومحتشمة وبدون (كريمة) ولادهانات) عند موقف التنكسي بحري الذي كان قرب معرض شركة باننا حين قال:-

صعيد للباننا شفت سماح ..... سماحا لا بد لاحتة لا إرياح  
جمال طبعي من الفائق الصباح ..... سوى در ومن شوق الجمال مرتاح  
فمثل تلك الصور لم تعد متاحة في عصر العولمة عصر السرعة والارتباك،  
وجمود العواطف، فأحب في أدب الرسائل القصيرة صار حبا ألياً إن صح التعبير،  
إن ما تفتقده لغة الرسائل القصيرة في عصرنا هذا، ليس سحر الكلمة فقط، وإنما عمق العاطفة، مع أن الكلمات تأتي أحياناً هفاجنة بجرانها المتوارية خلف طرافة اللفظ وايتال المعنى، هكذا انحدر الذوق الأدبي في الرسائل الإلكترونية الهاتفية أو البريدية... إلى هذا المنحدر وهذا المستوى الهابط الجامد الذي يخلو من العواطف الصادقة تماماً اللهم تلك الرسائل الإلكترونية المصنوعة، وتخلي كذلك عن السمات الأدبية والذوق الرفيع الذي كانت تعرف به الرسائل في القديم، إن الهزال والضعف هنا ليس في بلادة التعبير وجمود العواطف فحسب، وإنما أيضاً البراء الذي يدل على شدة المبالغة، في وجبات العشق السريعة، وبالتالي لا أهمية لجزالة اللغة ولا لبيان المعنى في رسالة الحب المتقطعة، طالما أن الأهم هو الاطمئنان على أن الحبيب أو المرسل ما زال بخير، أو ما زال يبدأ رسائله بحبيبتيه، أو تسلم الرسالة أو فتح بريده الإلكتروني؛ وهو ما يكشف عن فراغ في القلوب والعقول، وجفاف المشاعر، وعدم قدرة النفس على أن تتروى من الأدب الجيد والإنساني.

ونحن زمان كنا نحفظ أغاني الحقيبة عن ظهر قلب لانها الاصله والادب لمعدنو =كلمات شاعرن الفذ مصطفى بطران حين قال في هذا القطع من قصيدته شتلة الياسمين مائلة بصفحةمليها بينشجيك و من شذاها يجيك كل حين نضحة شوف =وجوه الروض باسمه منطرحةوتضحك الأزهار ميتة بي الفرحةليه شجرة الفل ياي منشرحه =شوف طيور منظوم روفة زي سحبةطائرة كالامال في الفضاء سابحةفي جوارنا قريب ظلالها جات شايحة الحمد لله لاندعو ولانقول كما دعاء احدهم باسلوب فضلى : اللهم عجرم نساننا !!



في هذا الزمن جُد رسالة موجودة ضمن بريدك الإلكتروني، وقد جُدها على تليفونك المحمول، وعندما جُد ذلك قد تقوم بإرسالها إلى الكثير من أصدقائك، وهؤلاء يرسلونها إلى أصدقائهم، وهكذا حتى تصبح شعاعاً، ولا تنسى إلا عندما تخرج رسالة جديدة فتفسير في نفس الطريق المعتاد، وهنا تطرح عدة أسئلة في مقدمتها: مدى تأثير الثورة التكنولوجية على أدب الرسائل كفن أدبي كان له سماته ومبدهه أم لا؟ وتأثير ثورة الاتصالات على مشاعر البشر، وهل أصبحت للمشاعر في عالم ما بعد الحداثة أشبه بالسلعة القابلة للتداول على نطاق جماهيري واسع، ومن ثم أصبحت نعيش في فترة "قولية المشاعر وتنميتها"؟. والواقع أن ثورة المعلومات أحدثت انقلاباً في شتى مناحي الحياة؛ فأثرت تلك الثورة على العمل وعلى الإنسان عموماً، بل انعكست على عواطفه وشعوره وأحاسيسه، كما أثرت كذلك على شتى فنون الإبداع والأدب والفنون، فلن تفوق الإنسان بمساعدة الكمبيوتر في فن الرسم وغيره أو ما يعرف بالجرافيك أو المانيميديا، فقد ضحى بفنونه أخرى كان لها شأن في القدم بل كان لها فنانون شبه مستقلين لها، فإذا كانت التكنولوجيا تخلق وظائف وأدواراً جديدة للبعض فإنها في المقابل تقضي على وظائف وأدوار أخرى، عرف الأدب العربي لونا فنياً وأدبياً مميّزاً هو "أدب الرسائل"، وكان من أبرز رواده عبد الحميد الكاتب، وعبد الله بن المقفع وغيرهما، كما عرف الرسائل بين المحبين والعاشقين والتي كانت تفيض فيها المشاعر بدرجة كبيرة جعلتها تدخل ضمن التاريخ الأدبي العربي، وقد ذكر ابن حزم الأندلسي الكثير من رسائل المحبين في كتابه "طوق الحمامة".

كلمات = حرارة  
وفي وقتنا الحالي شهد "أدب الرسائل" وكذلك الكلمة المكتوبة تراجعاً مؤلماً في دورهما الحيوي « بين المحبين والمتراسلين، منذ ازدهار الهاتف السلكي العادي، ويكاد كلام العشق المكتوب بأحاسيس مرهفة يصاب بمقتل مع ظهور خدمات الهواتف الجواله والرسائل القصيرة عبر البريد الإلكتروني، فأضحى، وخلال فترة قصيرة، للهاتف شعراؤه وكتابه المجهولون الذين يبدعون على مدار الساعة رسائل ساخنة وباردة، وقصائد فيها من اللوعة، بقدر ما فيها من الطرافة، وأحياناً السماجة إلى حد الغلظة، وإطلاق نكات توابك ما يجري في المجتمع من أحداث كبرى وصغرى، وكأننا أمام ديوان معاصر سريع خارج إطار الثقافة المتعارف عليه، ولكم هذه الأمثلة من الرسائل ذات الطرفة: عمري ... معاك ... وقلبي معاك ... وروحي معاك... وجزلاي إنسرق ويرضو اظنوا.... ..معاك واحد قال لبلدياتي في الحرم الشريف بعد الصلاة حرماً ... رد ليهو : امال دا ميدان عقرب .

كأن أول تهنة ذات قيمة ومضمون والأثر الأعمق في نفسي في أول أيام العام -المبارك بإذن الله- ٢٠١٠م، هي تلك التي وصلتني في رسالة عبر الجوال من الأخ المهندس فليبي طون ليك وزير النقل والطرق والجسور!! والرسالة تقرأ:

(يا جنرال ... أشكرك ... بكل الود والصدق والإخلاص أرغب أن: أولاً: أهنئك ونفسي وجميع أبناء الوطن، بالعيد الرابع والخمسين لاستقلال السودان، من الحكم الإنجليزي المصري...)

ثانياً: هل لي أن أسأل إلهنا العظيم ليمنحنا الحكمة والشجاعة، لنجعل تنوعنا العرقي الثقافي، الجغرافي والديني؛ وسيلة صالحة لنوحد أهلنا والوطن؟! أيضاً إن تخلصنا من كبرنا وصلفنا والتفكير الضيق في ذاتنا وجمعاتنا الصغيرة، بإمكاننا العمل معاً لاستغلال المال المتوفر لدينا -على قلته- بصورة منصفة وعادلة، لنجعل السودان مكاناً ملائماً لعيشنا جميعاً في سلام وأمان، وللآخرين ليزوروه، ويتعرفوا عليه، ويستثمروا في خيراته وثرواته الكبيرة المتنوعة وأرضه الواسعة ومائه الوفير.

ثالثاً: كل عام وأنتم بالصحة والسلامة!!

فيليب ... وفتت أمام كلمات الرسالة متأماً ... وعدت إلي الوراء ... القريب والوسيط والبعيد ... وقلت لنفسي: (أين كنا قبل عشر سنوات؟) فأشكر الله ربى كثيراً، وأحمده حمداً متواصلاً بلا انقطاع !! أما القريب ... فهو مشهد لقائى لساعة واحدة مع الوزير السابق كوال عند بداية ولايته لوزارة النقل (٢٠٠٥م)، التي انضمت إليها الهيئة القومية للطرق والجسور، لأنهنّه وأوصيه خيراً بهيئة الطرق، بحكم ارتباطي السابق بها، فاستمع إلي ما قلت باهتمام واضح، وأهتم أكثر بما سمع، ودفع بها خطوات إلي الأمام ... وأسس حلالاً من الثقة القوية بينه ووحدات الوزارة، الأمر الذي جعل العاملين يتوجسون خيفة، حينما تم نقله إلي ولاية جونقلي، بعد توقف وزراء الحركة الشعبية الأخاديين عن أداء مهامهم (٢٠٠٧/١١م) فترقبوا القادم الجديد بشئى من الحذر ... فإذا ما جاء المهندس فيليب طون ليك، تبين لهم أن لديه من المعرفة والجدية والحرص ما يطمنن، ونشأت درجة من الثقة والتفهم لتواجبات المرحلة، ما مكن الوزارة من أداء مهامها دون التأثير بالحراك السياسي الحاد، خارج إطار العمل التنفيذي المهني ...

أقفر إلي الوراء البعيد، متخطياً الوسط، فأذهب متأماً لشخصيات وطنية جنوبية، عرفتهم في بدايات عملي العسكري ... فتستوقفني رموز عديدة منها قسم الله عبدالله رصاص المكتبي (ببرتلو) مدرب التربية البدنية الصارم والمرن في آن واحد بالكلية الحربية حتى عام (١٩٦٢م) وقائد سلاح المظلات بعدها ... فنحن لم نر (برتلو) في الكلية الحربية، بل وجدنا أثره العميق وريحه الطيب، يعطر السنة كل المعلمين والجنود والطلبة الحربيين ... ولقيته في مسيرة عملنا العسكري والسياسي بعد ذلك ... فكان مثلاً للتعايش في ظل التنوع ... ومثله الرائد (لواء فيما بعد) قايبان أقاملونق المعلم بالكلية الحربية وكلية القادة والأركان، فكان متميزاً في كل شئ، علمه العسكري، تعامله الإنساني، صلته الاجتماعية وفهمه الواسع العميق لدوره الوطني ... ثم أقف معجبا منتبلاً منتحماً علي العقيد أبيل كول آرثر، وهو برتبة النقيب (في حلفا القديمة، قبل أن يتلعبها النيل، وعند بداية هجرة النوبيين، حزانى مرغمين إلي ما كانوا يرون أنه الجهول!! رأيتهم يجلس إلي النوبيين، ويتحدث إليهم في ود شديد، مواسياً ومخففاً لأهمهم، وهو قائد الحامية والحاكم العسكري للمنطقة، يحكى لهم عن نوبيين وغيرهم، يقمبون إقامة دائمة في الناصر وينمولي وواو وجوبا وتوريت وهم سعداء! صاهروا أهلها وصاروا منهم، وطابت لهم الحياة هناك، رغم ظروف الحرب، ويؤكد لهم أنه من أعالي النيل، أقام في مناحي شتى من البلاد، منها حلفا، ولا يستشعر غربة أبداً!! أبيل كول أحب الخلافيين فأحبوه، تماماً شندي ...

كان السيد ماثيو أوبور السياسي الضليع الواقف بنفسه، يقول لي حينما همّ الناس بوضع إتفاقية (اليرغني/قرنق) (بتوضيحاتها) موضع التنفيذ: (هل سمعتت برجل يخاف من السلام؟ السلام الذي يظنون أن الاتفاقية ستأتي به ... سلام مخيف!! إنه محشو بالثقل، وبهزمه عدم الثقة! ورغم هذا فإني لا أرفضه ... لكنني لا أتمناه بهذه الصورة ... دعونا نغسل قلوبنا أولاً ... بعدها كل شئ يمكن ... كل شئ يمكن!! عدت إلي مكتبي في جهاز أمن السودان ... وأعدت قراءة الإتفاقية وتوضيحاتها ... وتأكد لي أن حديث أوبور هو الأقرب إلي الصحة، إن لم يكن صحيحاً علي إطلاقه!! ولذا فلما جاءت به نفاشا وتفصيلها لم أجد فيها الشيطان! بل أحسست بالاطمئنان، رغم تعقيداتها، وحاجتها إلي شرح وتوضيحات!!

إن من يستمع إلي السيد بونا ملوال هذه الأيام، وأكس معنا في أديس أبابا عند انعقاد المؤتمر الأول للجمع الوطني الديمقراطي (مارس ١٩٩١م) بأديس أبابا، يجد أن الرجل يتحدث بلسان وجنان واحد ثابت، يتم عن رؤية واضحة لقضية الوطن، وقراءة سليمة لماضية وحاضرة ومستقبلية، لا تتغير نوابت الوطن في نظره وعقله ... ويرى في إنسان السودان، الأقدّر علي النهوض ببلاده، رغم الإخفاقات التي لازمته منذ الاستقلال ... وحينما أراه اليوم يعيد محاولاته مرة فمرة، لجمع الكلمة ورأب الصرع بلا كلل أو ملل، أشعر أننا علي الطريق الصحيح إلي الغاية المرجاة ... سلام واستقرار ووحدة ووثاق!!

الجلس الوطني الانتقالي ختم أعماله في آخر يوم من العام (٢٠٠٩م) حيث تنفس هو والناس الصعداء، عند ختام دورة ختامية حمي فيها وطيس العراك السياسي ... أكد بذلك أن قيمة البرلمان هي الميدان الأبرح والأصلح لتقليب وجهات النظر في كل الأمور .. هي الساحة الأوسع للحركة الواعية العاقلة ليكسب الجميع الرهان ولا يخسر أحد ...

قد يكون مناسباً أن أبعث للأخ فيليب طون وروح الأخ الشهيد أروك طون والناس في بلادي جميعاً برسالة تقول: (أعتقد اعتقاداً

راسخاً وثابتاً أن لدينا الحكمة والشجاعة لنجعل تنوعنا العرقي الثقافي، الجغرافي والديني وسيلة صالحة

لنوحد أهلنا والوطن! وبإمكاننا التخلص من كبرنا وصلفنا والتفكير في ذاتنا، لنجعل السودان وطناً

ملائماً لعيشنا جميعاً في أمن وسلام ... كل ما يلزمنا أن نغسل قلوبنا بما علق بها من أدران، وأن

تصفو أديابا وتسلم من كل سوء!!

عند ذلك -فقط- تلتم الجراح وتشرق الشمس عند الصباح ...

لواء ركن (م) الربادي بشري  
أم درمان  
٢٠١٠/١/١م

## فكرتي

أروك طون ... فيليب طون

